تفاصيل عن لجنة دراسة مسألة الازدواجية اللغوية في الجزائر
أعمال لجنة بيير كون Pierre conn (أوت 1964م)(*)

الأستاذ الدكتور سعيد عيادي

جامعة البليدة 2

Résumé :

Le sujet du bilinguisme était toujours et depuis l'indépendance l'axe de tous les débats qui portent sur le réforme pédagogique et éducatif ; et au centre des orientations scolaires et éducatives, soit sous l'égide du ministère concerné ; soit au niveau des instances scientifiques et académiques ; la commission qui a été dirigée par l'expert consultant français **Pierre Conn** a partir du mois du janvier 1964 ; a basée ses travaux sur l'étude et l'analyse de la situation du bilinguisme dans le système scolaire algérien; et dans le sphère culturel dans les milieux familiales et sociales.

Notre article ; a pour but ; d'étudier et d'analyser les conditions et les situations pédagogiques et scientifiques dans lesquelles s'est déroulé le grand débat sur le bilinguisme jusqu'à nos jours; et d'exposer l'ensemble des efforts qui ont été consentis dans ce sens.

ـ مقدمة:

يستوقفنا التاريخ من جديد أمام محطات حاسمة مرت بها الجزائر في طريق تشكيل الأفكار والبرامج والاتجاهات بعد خروج الفرنسيين منها، وكانت أهميتها تكمن في كونها تتعلق أساسا بمرحلة انتقالية في فترة دقيقة تفرق بين فترة التواجد الفرنسي وفترة الوجود الجزائري الذي بدأت ملامحه السياسية والاجتماعية تبرز وتشكل وتعطي أبعادها الداخلية والإقليمية

والعالمية، لذا وأخذا بالاعتبار لطبيعة الإرهاصات الأولى بعد الاستقلال، نود من خلال هذا العمل العلمي المبادرة بتقييم هيكل فكري تأملي جديد أملا في الاستثمار في مكونات نزعة تأويلية تجمع الفلسفي بالمنطقي والعلمي بالتخميني والقار بالمتحرّك، رغبة منا في تحقيق مهارة نوعية بقراءة سوسيولوجية متكاملة في تقرير اللجنة الفرنسيّة التي أشرف عليها الفرنسي **Pierre Conn**.

ـ تشكيل هيئة اللجنة الدراسية:

انتقاء مجموعة من الخبراء الفرنسيين في بداية شهر جانفي من سنة **1964**م للقيام بدراسة مشروع بحث في الهوية الثقافية ـ اللغوية للجزائر، يعدّ حسما تاريخيا في مكونات الدولة الجزائرية الجديدة، فبعيدا عن الأخذ بموقف التدخل في الشؤون الداخلية أو التأثير المبرمج في المواقف والبرامج، نرى أن تشكيل هذه اللجنة في هذا الظرف التاريخي الحاسم من تاريخ الجزائر، ستكون له دون شك آثار متعدّدة الجوانب في المدى القريب كما في المدى البعيد من التخطيط التربوي والثقافي ـ اللغوي في الجزائر.

التقرير هو بحد ذاته تقرير استقصائي ميداني **(enquête d'exploration pilote)**، وفي نفس الوقت هو مشروع لاقتراحات عديدة تمسّ سير الهياكل الجديدة وتعمل على وضع لبنات لتوجيهها نحو أهداف رسمها أصحاب التقرير بكل دقة ووضوح، كما أن للسياق التاريخي في الفترة التي تم فيها إعداد وإنجاز التقرير خصوصية دقيقة، " **فالجزائر التي كانت تبحث عن نفسها**" كما يقول الفرنسي **دانيال قيران Daniel Guerrin (1)** هي الجزائر التي كانت فرنسا تبحث فيها وتبحث عنها لربط اتجاهات المرحلة الانتقالية بأهم الروابط والاتجاهات للجزائر الفرنسية والقائمة على مادة اللغة، فالطرف الفرنسي يرى كذلك من زاوية بقاء واستمرار مسؤولياته السياسية لإدارة شؤون الجزائر القادمة والتدخل مباشرة إن أمكن ذلك، خاصة في مثل هذه القضايا التي تهم مسائل التربية والتكوين والثقافية وتشكيل الأفكار

وربطها بأفكار نموذج مجتمع الجزائري ـ مرتبط بالمجتمع الفرنسي بوسائط تأتي على رأسها اللغة الفرنسية.

نجد أنفسنا اليوم كباحثين في مختلف حقول العلوم الاجتماعية نبحث عن خيوط الحقائق التاريخية والإنسانية التي قام عليها المجتمع الجزائري، على أمل الوصول إلى تشكيل بناء معرفي متراص من التحليل الدقيق للمكونات النفسية والاجتماعية للسيرورة التي انتظمت تجارب الشعب الجزائري، التي استعادت أنفاسها الإنسانية والثقافية ـ اللغوية بعد حرب طويلة مع القوة العسكرية الفرنسية، التقرير الذي يشكل اليوم مادة هذا العمل العلمي وتقوم عليه رغبتنا في إعادة تصميم بعض الأركان الغامضة من التجربة التاريخية التي قامت عليها **مبادئ وفلسفة النظام التربوي في الجزائر(2)** ، وخاصّة في تلك اللحظات العسيرة التي أعقبت خروج الفرنسيين من الجزائر سنة **1962**م.

ـ التعريف التقني بلجنة الفرنسي بيير كون:

التقرير الفرنسي الذي أشرف عليه عالم الاجتماع الفرنسي **بيير كون Pierre Conn**، امتد نظريا وميدانيا حسب ما يبدو من دفتر شروط التقرير من شهر جانفي **1964**م إلى غاية شهر فبراير **1965**م (نهاية إعداد التقرير)، ويدخل عمل هذه اللجنة في إطار تنفيذ مضامين **البرنامج الموسّع للمساعدة التقنية Programme Elargi d'Assistance Technique (PEAT)** وهو البرنامج الذي ترعاه إداريا وماليا منظمة اليونيسكو، وبالفعل صدر التقرير أخيرا باسمها وتحت إشرافها والتقرير مدوّن في سجلاتها، وهو مسجّل في أرشيف البرنامج الموسّع تحت رقم **WS/0865/64-SS** ، وتم كذلك إيداع التقرير وأعمال اللجنة التي أشرف عليه **بيير كون** لدى مصالح التربية الخاصة بالخبراء وأعمال التقييم وفق الصيغة التالية **EPTA/SS/Consultant** وهي مرفوقة بإشارة خاصّة مذكورة فوق التقرير بعنوان: "**توزيع محدود**" **Distribution limitée**

ـ تشكيلة اللجنة الدّراسيّة:

التقرير الذي أعده وحرّره وقدمه المستشار الخبير وعالم الاجتماع الفرنسي (اختصاص علم اجتماع تربوي) وساعده فيه رئيس معهد الفلسفة في جامعة الجزائر وعالم الاجتماع الفرنسي **إميل سيكار Emile Sicard**، لا يعطينا ضمن الديباجة الأولية القائمة الإسمية لأعضاء اللجنة الدراسية المكلفة بدراسة واقع التعليم في الجزائر بعد سنة **1962**م وكيفية توجيهه وتحديد المهام والصلاحيات، ولكننا نفهم من قراءتنا للتقرير أن هناك أسماء لشخصيات جزائرية وأخرى فرنسية جعلتنا نفهم على إثرها أن الأسماء الواردة في ثنايا التقرير يمكن أن تكون هي أعضاء اللجنة الدراسية أو قد تكون غالبية الأعضاء.

لهذا وانطلاقا من مضمون التقرير الذي هو اليوم بين أيدينا، يمكن أن نشير فيما يلي إلى القائمة الاسمية لما يمكن أن نعتبرهم أعضاء اللجنة الدراسية المكلفة بمتابعة وضعية المؤسسات التعليمية في الجزائر، على أننا نشير هنا إلى أن صاحب التقرير أورد فقط ألقاب هؤلاء الأشخاص دون الإشارة إلى أسمائهم، فالذين نعرفهم ثبتنا ألقابهم وأسماءهم، والذين لا نعرفهم استقصينا عليهم، فمن تثبتنا من اسمه أضفناه ومن لم نتثبت تركنا اللقب كما هو على طبيعته ضمن إيرادات الأسماء لصاحب التقرير:

- **السيد بلحسن:** مستشار تقني - بيداغوجي لدى مصالح وزارة التربية الجزائرية.
- **السيد عبد العزيز أوعبد السلام:** عميد جامعة الجزائر
- **البروفيسور بوشنب Professeur Bencheneb** : عميد كلية الآداب.
- **البروفيسور عزة:** أستاذ جامعي
- **البروفيسور مقران:** أستاذ جامعي
- **السيّد عنابي:** المستشار البيداغوجي وعضو اللجنة الدراسية.
- **البروفيسور إميل سيكار Professeur Emile Sicard** رئيس معهد الفلسفة بجامعة الجزائر.

ـ **الآنسة مالك Mlle Mack** منسقة مساعدة **للسيد إيميل سيكار** على مستوى معهد الفلسفة على مستوى جامعة الجزائر.

ـ **السيد جان لابيكا Jean Labica** منسق مساعد **للسيد إيميل سيكار** على مستوى معهد الفلسفة على مستوى جامعة الجزائر.

ـ **السيد غويو Mr Guyot** منسق مساعد **للسيد إيميل سيكار** على مستوى معهد الفلسفة على مستوى جامعة الجزائر.

ـ **السيد خاييم رونار Jaime Renart** الممثل المقيم لهيئة الأمم المتحدة بالجزائر.

ـ **السيد الطاهر قيقة Tahar Guiga** خبير رئيسي تابع لهيئة اليونيسكو.

ـ السيد **بيكلان Mr Becquelin** خبير تابع لهيئة اليونيسكو ومساعد **الطاهر قيقة.**

لذا وبحكم الصلاحيات العلمية والدراسية والبيداغوجية وكذاك الإدارية، وبحكم العلاقات التنظيمية بين وزارة التربية الوطنية وولاية الجزائر، التي جعلتنا نتنقل إليهما رفقة وفود الجهتين فيما يتعلق بمتابعة بعض الملفات والوقوف عليها، فقد كنا نطلع عليها ونراجعها على مستوى مصالح ولاية الجزائر، لكوننا كنا من الإدارية في رتبة **إطار مسيّر(cadre -dirigeant)** بهذه الولاية، لقد اتجهنا رأسا للاستفادة من الأرشيف التربوي والإداري الخاص بالمجلس الشعبي لولاية الجزائر **(CPVA)**، وإعادة مراجعة الأرشيف والترابيد الخاصة بالمسائل التربوية واللغوية والمدرسية، بل والاتصال بالشخصيات التي كانت تدير المقاليد الإدارية والعلمية خلال فترتي الستينيات والسبعينيات، سعيا منا لضبط أكثر علمية ودقة للسياق التاريخي لتقرير بيير كون ولجنته الدراسية، مع ما يزال متوفرا في أرشيف إدارة المجلس الشعبي لولاية الجزائر، الذي انتقلت تسميته من "المجلس الشعبي لولاية الجزائر **(CPVA)** إلى المجلس الحضري للجزائر **(CUC)**،

وزارة التربية الوطنية ومصالح ولاية الجزائر كلاهما لا يتوفران على نسخة من هذا التقرير والأعمال النهائية التي قدمتها اللجنة الدراسية، عقب

إشرافها على عمل دراسي ميداني لتقييم مستقبل المؤسسة التعليمية في الجزائر بعد خروج الفرنسيين منها، والتوقعات التي يراها الفرنسيون، بأنها ستكون نقاطا سوداء في مستقبل المسيرة التعليمية بالجزائر، لذا نفهم مبدئيا وفي ضوء المعلومات المتوفرة بين أيدينا لحد الآن، أن الجهتان اللتان تتوفران لحد الآن على أعمال اللجنة الدراسية، هما الدولة الفرنسية ومنظمة اليونيسكو، خاصة وأن مختلف الكليات والمعاهد والأقسام لا تتوفر على أي أرشيف يمكن العودة إليه، ونخص هنا بالإشارة جامعة الجزائر، المعنية أولا وقبل غيرها على أن تكون متوفرة على أرشيف الجامعة ونشاطاتها من **1962**م وإلى الآن.

ـ لماذا لم يرد اسم آلان توران Alain Touraine في هذا التقرير:

لا أحد يغفل عن المقام النوعي والمتميز الذي يحتله عالم الاجتماع الفرنسي **آلان توران Alain Touraine (3)** في تاريخ الفكر السوسيولوجي المعاصر بفرنسا، كما أنه يجب الإشارة إلى الدور الكبير الذي قدمه من أجل تطوير دراسات علم الاجتماع في الجزائر قبل وبعد سنة **1962**م، وهو لم يكن فقط على صلة واتصال بمن كانوا في هذه اللجنة من الفرنسيين بالخصوص ومنهم **بيير كون Pierre Conn وإميل سيكار Emile Sicard**، لقد كان من أبرز علماء الاجتماع الذين اشتغلوا في **مركز الدراسات السّوسيولوجيّة**، وتنكشف أمامنا الوقائع اكثر لما نقرأ ونراجع كتابه الصّادر سنة **1965**م بالموازاة مع نشاط لجنة بيير كون تحت عنوان **"علم اجتماع الفعل" la sociologie de l'action.**

هذا الكتاب أنتجه ونشره في إطار عمله بهذا المركز، فالكتاب هو توسعة وتدقيق في لبعض المحاور التي تضمنها تقرير عالم الاجتماع الفرنسي **بيير كون، وخاصة مسائل اللغة والثقافة والمعرفة التعليمية،** فهو بحكم معرفته الدقيقة بالأوضاع العامة للجزائر وخاصة إمكانيات مراكز الدراسات والبعثات الفرنسية الموجودة في الجزائر، قام بدراسات ميدانية عن الجزائر لصالح

المركز المذكور وغيره، كما عرض بعض نتائج دراساته في بعض كتبه العديدة، التي ناهزت الثلاثين، ومنها تلك النتائج التي نرصدها عند الوقوف على مفاصل من كتابه **"إنتاج مجتمع" la production de la société**.

تناول في هذا الكتاب ما يشبه وضع خارطة هيكلية للمجتمع الجزائري، فالجمع بين مضامين تقرير **لجنة بيير كون** ومضامين بعض كتب **آلان توران Alain Touraine** هي ضرورة علمية وإدارية تسمح لنا من الوقوف على طبيعة التفكير الفرنسي وانعكاسه على مستوى الاشتغال العلمي والسوسيولوجي بالدقة، من خلال نشاط مراكز متخصّصة تجاه مجتمع بقي تحت سلطة التواجد الفرنسي لمدة **132** سنة.

إنه طبيعي أن كثيرا من الأسئلة لا جواب لها في الظرف الراهن ولا نجد لها الإجابة الشافية الكافية، والحل هو في إدامة البحث والتقصي في المصادر الممكن الحصول عليها من الطرف الفرنسي، لنستجلي حقائق إضافية متعلقة باللغة والثقافة والمعرفة كانت غائبة عنا، ليس بجهل منا أو تهاون في معرفتها وإظهارها، ولكن لأن الطرف الفرنسي هو من يحتكر لحد الآن، ويمتلك كل التقارير المنجزة عن المجتمع الجزائري قبل سنة **1962**م وبعدها، ليس سهلا أن تترك الدولة الفرنسية قضية الجزائر تخرج من تحت يديها وتنفلت من هيمنتها بما فيها أجهزة الرصد العلمي والدراسي، ولذلك فهي تدير علاقتها بالمجتمع الجزائري بكل حذر ومراقبة ومعاينة عن قرب.

ـ النقاط التي تضمّنها تقرير لجنة بيير كون:

نود أن نشير أولا أن الكتب الدراسات والتقارير والمذكرات والرسائل الجامعية التي تم إنجازها في إطار علم الاجتماع التربوي والتي تناولت وضع اللغة الفرنسية في الجزائر، لم ترد فيها أي إشارات بخصوص هذا التقرير الشامل الذي تمّ إنجازه مع بداية سنوات الاستقلال الأولى، إنه بحكم اشتغالنا لسنوات على هذا الملف وتواجدنا على مستوى ولاية الجزائر ووزارة التربية الوطنية لم نصادف هذا التقرير ولم يكن لنا حظ معرفة من لهم اطلاع على حيثياته، كما

أن دراستنا المعمقة للسيرة الذاتية **للسيد عبد العزيز أوعبد السلام** لم تسمح لنا بالعثور ضمن سيرته على تفاصيل مهمة ذات علاقة بهذا التقرير، فهل كان ينطوي على سرية وعلى حساسية، بحيث لم يترك متاحا ولا مباحا للإطلاع عليه وكان توزيعه محدودا كما هو ظاهر بتأشيرة هيئة اليونيسكو على ظهر التقرير.

ثانيا أن التقرير وعلى الرغم من أن مهمته كانت بالأساس إعداد دراسة عن واقع ومستقبل التعليم في الجزائر بعد خروج الفرنسيين منها وخاصة التركيز على وضعية اللغتين الفرنسية والعربية، فهو يؤكد بالمقابل على أهمية الاعتناء بتطوير علم اجتماع التربية بالجزائر والعمل على ترقية وتطوير الدراسات الخاصة بالعلوم الاجتماعية في الجزائر، فهل كانت السلطات الفرنسية تراهن على إستراتيجية تطوير علم الاجتماع التربوي في الجزائر، من أجل تمكنها من متابعة مسيرة نشوء وتطور الأفكار والمبادئ التربوية للجزائر الجديدة، وما هو موقف السلطات الجزائرية من مضمون التقرير الذي أشرف عليه ورفعه بيير كون، فهل كان الاختيار السياسي والأيديولوجي للجزائر الجديدة في تراجع الاهتمام بعلم الاجتماع التربوي، وهل لهذا التخلي علاقة بمجريات المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع الذي نظمته واحتضنته جامعة الجزائر سنة **1974**م.

1 ـ تحديد صلاحيات رئيس اللجنة المستشار ـ الخبير (بيير كون).

بناءً على وثيقة الأمر بالتكليف الموجهة إلى السيد **بيير كون** باعتباره رئيسا للجنة الدراسية، والتي توضح لنا الجهة التي أصدرت الوثيقة وكلفته بها للقيام بهذه المهمة في الجزائر، حيث جاء إلى الجزائر من فرنسا حيث لم يكن مقيما هنا ولم يكن من فرنسيي الجزائر، بنود الوثيقة أعطته صفة الخبير ـ المستشار **(expert- consultant)** الذي يتولى شؤون إدارة أعمال اللجنة وموافاة الهيئة التي كلفته بتقرير مفصل وبالأعمال التي ستنجزها المجموعة التي لها عضوية اللجنة، ولهذا نذكر هنا الصلاحيات الواردة في الوثيقة بالترتيب.

يتكفل **الخبير- المستشار بيير كون** وبالتعاون مع المسئولين والمنسقين المساعدين على مستوى معهد الفلسفة **(Institut de philosophie)** بجامعة الجزائر وبالخصوص التعاون مع **مركز الدراسات السّوسيولوجيّة (centre d'études sociologiques)** المرتبط بجامعة الجزائر بما يلي:

1 - القيام بتحقيقات سوسيولوجيّة **(les enquêtes sociologiques)**، يتكفل بإعدادها وإنجازها علماء اجتماع فرنسيين وجزائريين سواء منهم الممارسين المباشرين، أو من سيتولى الطرف الفرنسي تكوينهم وإعدادهم للقيام بهذه التحقيقات، ويبدو لنا أن الطرف الفرنسي كان بحاجة ماسة ويشعر بحاجة ملحة للنجاح في هذه المهمة الدقيقة، لأن الإدارة الفرنسية كانت ترى أهمية إبقاء الجزائر على صلة مباشرة بها ثقافيا ولغويا، وهي لا تسمح للتأثيرات السياسية والأيديولوجية تذهب بها بعيدا خاصة مع تحذيرات **روبير منتران(4) Robert Mantron** من وجود تأثيرات من قبل قيادات الناصريين (حزب الإتحاد العربي الاشتراكي بالخصوص) وحزب البعث، وبدرجة أقل قيادات الحزب الشيوعي العراقي.

بالإضافة إلى ذلك هناك وجود لعدد من الفرنسيين على اطلاع بالموقف الفرنسي وخاصة من خلال **تصريحات فتحي ديب (5)** رئيس الاستخبارات المصرية في تلك الفترة، حول واقع ومستقبل العلاقات الجزائرية - المصرية، والتقرير كان واضحا في الإشارة إلى وجود دلائل وقرائن بتوجه الجزائر نحو الخيار الاشتراكي والخيار القومي والتعاون التعليمي والتربوي في توجيه هوية نشاطات بعض الهياكل الحساسة، وهو ما يريد الفرنسيون عدم حدوثه، وبأن التحولات المحتمل وقوعها في الجزائر مستقبلا يجب أن لا تتجه نحو إحداث القطيعة والعداء مع الفرنسيين.

لقد كان واضحا هناك أنه مثلما تقدمت مصر وبعض الدول العربية معها بإرسال **2500** أستاذ لتدعيم مسار التعليم في الجزائر، بادرت فرنسا بإرسال ثلاثة أضعاف ونيف مما أرسلته الدول العربية مجتمعة، وكان حجم الفرنسيين

الذين التحقوا بالمدارس الجزائرية بموجب اتفاقية تعاون بين الدولتين يقدّر بـ **7691** أستاذ، هذا فضلا عن فرنسيي الجزائر الذين فضلوا البقاء هنا وفضلا عن الجزائريين، الذين كانوا يدرسون أساسا باللغة الفرنسية في مختلف المؤسسات التعليمية، فخيار اللغة كان تقريبا محسوما فيه، وأن التخوفات الفرنسية المبدئية، سرعان ما تم الطمأنة بعدم حدوثها على الأقل آنذاك.

2 ـ تقديم مساعدات واستشارة للإطارات الفنية في المؤسسات التي تحتضن أعمال مخطط الأبحاث **(le plan de recherches)**، الذي سيتناول إلى جانب المحاور الرئيسية للتحقيق ولواحقه التقنية والإنسانية، متابعة طبيعة المشاكل والصعوبات الخاصّة **بعلم اجتماع التربية (sociologie de l'éducation)** في الجزائر (6).

3 ـ تقديم استشارات علمية للباحثين بكل ما يتعلق بأحسن المناهج والطرق الواجب تطبيقها لإنجاز التحقيقات السّوسيولوجيّة.

4 ـ المشاركة بالمتابعة لعملية انطلاق سلسلة أشغال الأبحاث، وفقا لما جاء في مخطط عمل المصادق عليه.

5 ـ يحتفظ المستشار الخبير بحق النظر والإشراف في سياق التزاماته بصلاحيات المهمة على متابعة أي تطوير في المستقبل لمركز الدراسات السوسيولوجية، وسيقدم كل ما لديه من اقتراحات الهدف منها تحقيق التحسين سواء الأبحاث والدراسات المستقبلية أو سواء فيما يتعلق بعملية التكوين الموجهة لفائدة علماء الاجتماع الشباب في الجزائر.

لكن نحن نتساءل هنا: هل كان تطوير علم الاجتماع ومركز الدراسات ضمن استراتيجيات التدخل الذي قامت به اللجنة لأجل البحث عن استراتيجيات تمكين اللغة الفرنسية كما كانت؟؟، ولماذا لم تقع متابعة لاحقة لا من اللجنة ـ ونصفها من الجزائريين كما مرّ بنا ـ ولم يحظ علم الاجتماع وعلى رأسه علم الاجتماع التربوي بأي عمل من شأنه تحقيق التحسين والتطوير في الجانب اللغوي

والمدرسي؟؟، وهل كان سعي الخبير الفرنسي **بيير كون** تحرير علم الاجتماع وإخراجه من جبة معهد الفلسفة التي كان تابعا لها؟؟، وفتح الأفق أمامه وأمام علماء الاجتماع الشباب من أجل أن يحظوا بتكوين نوعي سوسيولوجي وفكري للانفصال عن الفلسفة وتشكيل قاعدة سوسيولوجية قوية، كان بإمكانها أن تحقق المرافقة الجيدة والنوعية لمتابعة إنجاز الدّراسات الخاصّة باللغة والثقافة والمعرفة المدرسية.

التقرير ودون أي التباس يطرح علينا إشكالية ذات بعد جدلي عميق، وهو أن التحولات التي ستحصل في الجزائر يجب أن تلقى متابعة واهتماما من قبل علماء الاجتماع لحاجته إليهم في إعداد دراسات نوعية، ولكون أن عددهم قليل بالنظر للظروف التي عرفها البلد سنة **1962**م، فإن الطرف الفرنسي حريص ضمنيا على الأخذ بيد هؤلاء العلماء شريطة تحقيق الانفصال الإداري والفكري عن معهد الفلسفة، حتى ولو أن عالم الاجتماع الفرنسي **إميل سيكار** كان على رأسه، بل إن وجوده هناك هو ما ترك الطرف الفرنسي يربط عملية التكوين المستقبلية الخاصة بعلماء الاجتماع الشباب الجزائريين بضرورة الانفصال عن معهد الفلسفة والدفع بهم تحت إشراف فرنسي كما هو واضح وتوجيههم مباشرة للقيام بدراسات سوسيولوجية ميدانية متخصّصة تكون الأولوية فيها للدراسات اللغوية والتربوية على مستوى المؤسسات التعليمية في الجزائر.

نجد في التقرير إشارات واضحة للاتجاه في تدعيم هذا الاختيار، وحتى يتم تحديد البؤرة الإدارية والعلمية التي سيؤطر فيها هؤلاء الشباب فإن صاحب التقرير كان واضحا كل الوضوح في الدعوة إلى تطوير وتحسين مركز الدراسات السوسيولوجية، والذي أصرّ على جعله من بين صلاحياته من وراء تأسيس اللجنة الدراسية التي تتخصّص في دراسة واقع ومستقبل المؤسسة في الجزائر، فالتركيز على تطوير هذا المركز ـ نفهم من خلالها ـ سعيه لتشكيل قاعدة فكرية ومنهجية وسوسيولوجية مستقبلة تحتضن الخبرات الفرنسية

والمساهمات الفنية والتقنية والمنهجية التي سيقومون بتوفيرها لعلماء الاجتماع الجزائريين في متابعتهم الظواهر الحساسة ودراستها دراسة تطبيقية مباشرة بعيدا عن الإشراف الفكري والإداري لمعهد الفلسفة بجامعة الجزائر.

نفهم أيضا من ورائه أن الطرف الفرنسي يولي أهمية بالغة لمسألة الإشراف السوسيولوجي على متابعة واقع المدرسة الجزائرية ومعرفة تفاصيل المسألة اللغوية فيها، والدليل من وراء ذلك، تركيزه على ضرورة تخصيص مركز الدراسات السوسيولوجية بكل الأدوار اللازم القيام بها، للمرحلة القائمة آنذاك ومستقبل الأوضاع في الجزائر، فبحكم الوجود والنشاط والتفاعل مع واقع المجتمع الجزائري الذي تعاملوا معه على مدى سنوات من التجربة السوسيولوجية الفرنسية بالجزائر، وإذا أردنا أن نعود مرة أخرى لنقف على تركيزهم الكبير لتدعيم علم اجتماع التربية بالجزائر فنجد أن أحد اكبر المختصين الفرنسيين في هذا المجال عمل لسنوات طويلة بالجزائر، وهو **إدوارد باليرو Edouard Palmero**،**(7)** وأصحاب التقرير هنا ركزوا كثيرا على أهمية تحقيق إصلاح بيداغوجي عميق في الجزائر بعد سنة **1962**م وتأتي على رأسها اللغة الفرنسية كما ورد في التقرير، وكانت رغبتهم ملحة بأن يتولاها علماء اجتماع يمارسون عملهم في حقول التربية والبيداغوجية ومناهج التدريس، مع إبداء الاستعداد بتقديم اقتراحات عملية في هذا الشأن.

أصحاب التقرير يرون أن الأصل في ظهور الفكرة والرغبة في تشكيل هذه اللجنة الدراسية، يعود إلى حواصل البواكير الأولى لسنوات الاستقلال، ففي تلك الفترة بالذات حصلت اتصالات ولقاءات بين الحكومة الجزائرية والأمانة العامة لمنظمة اليونيسكو وبعض الفرنسيين، ففي حصيلتها الأولية قدمت الجزائر طلبا رسميا موجها إلى دائرة العلوم الاجتماعية والتي تطلب فيه إرسال خبراء للتعاون في المجال المدرسي والتربوي، لقد تم تخصيص قرض استثنائي عاجل قدره **5000** دولار أمريكي الغرض منه تدعيم اللجنة التي

يشرف عليها الخبير المستشار بيير كون، والتي سيتم صبّها في ميزانية سنتي **1963 ـ 1964** من **البرنامج الموسّع للمساعدة التقنية Programme (8) élargi d'assistance technique.**

ضمن هذا السيّاق ومتطلباته، كان منتظرا ومتوقعا من **السيد بلّحسن** وهو مستشار تقني لدى مصالح وزارة التربية الوطنية بالجزائر، القيام مرّة أخرى ابتداءً من ربيع سنة **1963**م تقديم توضيحات ذات فائدة خاصة بتحديد هدف الدراسات والأبحاث الواجب القيّام بها في هذا الصّدد، وكان عليه بالمقابل توجيه عناية هذه اللجنة نحو تحديد وضبط قدرة ومستوى مساهمتها في دراسة الوضعية اللغوية في التعليم وشروط الانتقال السّريع للمدرسة الجزائريّة بعد الانفصال النهائي عن فرنسا، تهيّا آنذاك موضوعان للبحث والدراسة ووقع حولها الاتفاق والبدء في الإنجاز وهما:

1 ـ البحث في سوسيولوجية المتمدرس الجزائري **la sociologie de l'écolier algérien (9)**

2 ـ إعداد دراسة حول **حالة الازدواجية اللغوية** (عربية ـ فرنسية) في القطاع المدرسي الجديد **l'étude du bilinguisme scolaire arabe-francais**

أصحاب التقرير أبدوا سعادتهم وارتياحهم لكون أن هذه الدّراسات تندرج في إطار الخدمات التربوية النوعية التي تستعد منظمة اليونيسكو لتقديمها للجزائر.

2 ـ اللجنة تنطلق في نشاطها من معهد الفلسفة بجامعة الجزائر.

بالنظر إلى تلك الفترة ولأوضاعها الخاصة، فإن جامعة الجزائر لم تكن تتوفر بعد على معهد علم الاجتماع، فعلم الاجتماع كان يدرس في إطار **معهد الفلسفة**، والفرنسيون أنفسهم شعروا في ساعة العسرة، أنهم فرطوا تفريطا كبيرا عند قصورهم عن تأسيس معهد لعلم الاجتماع جنبا إلى جنب مع **معهد الفلسفة**، ولكن مع ذلك كان النشاط الدراسي التطبيقي قائما ونشطا في إطار

مراكز دراسات متخصّصة وعلى رأس ذلك **مركز الدّراسات السّوسيولوجيّة**، الذي كانت خشية الطّرف الفرنسي كبيرة تجاهه، خاصّة خوفهم من إنهاء مهامه وغلقه أو تهميشه أو التقليص من صلاحياته العلميّة والدّراسيّة.

الفرنسيّون كانوا يراهنون عليه كثيراً وكانوا يريدون الاستفادة من بقائه لتسيير وضعية ما بعد سنة **1962**م بأكثر ضمانة وأكثر أريحية، لقد كانت خشية فرنسية مرفوقة بشيء من الأمل وبكثير من الذكاء في إبقاء الخيوط قائمة بين باريس والجزائر، للحفاظ على السّيرورة النظاميّة والتنظيميّة، وقد جهدت السّلطات الفرنسيّة على أن لا يكون الاتجاه السيّاسي والأيديولوجي نحو المعسكر الاشتراكي متزمتا، وكانت تعمل على ربطه باليسار الفرنسي المعتدل، وجعله متجها نحو التعامل مع الاشتراكيّة الغربيّة المعتدلة.

3 ـ تحديد طبيعة الأشغال الأولية.

يشير أصحاب التقرير أن هناك اجتماعان تم تنظيمهما تحت رئاسة السيد بروفيسور**عبد العزيز أوعبد السلام** مساعد رئيس جامعة الجزائر، واللذان شهدا حضور ومشاركة بروفيسور **بن شنب** عميد كلية الآداب بهذه الجامعة، **والسيد بلّحسن** مستشار تقني لدى مصالح وزارة التربية الوطنية وبروفيسور **إميل سيكار Emile Sicard** مدير معهد الفلسفة بجامعة الجزائر، والذي شارك لوحده في جلسة الاجتماع الأول، والتحق به معاونوه الرئيسيون في جلسة الاجتماع الثاني وهم على التوالي السيد **الطاهر قيقة Tahar Guiga** خبير رئيسي لدى منظمة اليونيسكو، والسيد **بيير كون Pierre Conn** والذين تكفلوا جميعا بتوفير شروط التحضيرات الخاصّة ببرمجة الدراسات التي سيتمّ القيام بها.

لقد تمّ الإقرار في ضوء جلستي هذين الاجتماعين على إعداد خطّة عمل منظمة تقتضي وجود مساهمة مشتركة وتنسيق دائم من قبل كلية الآداب بجامعة الجزائر ومصالح البحث البيداغوجي التابعة لوزارة التربية الوطنية لتقديم الدعم اللازم للأشغال الخاصة بإنجاز دراسات لغوية، كما تمّ خلال

هذين الاجتماعين **الاتفاق بين الأعضاء على دراسة طبيعة وشروط تنفيذ خطة الازدواجية اللغوية المدرسية بالجزائر، التي يجب تناولها بأولويّة خاصّة قبل أيّ عمليّة أخرى.**

أصحاب التقرير مع تأكيدهم على أهمية إعطاء الأولوية لتنفيذ مخطط دعم الازدواجية اللغويّة، يرون بالموازاة مع هذا، أنه يجب النظر إليها وتقديرها باعتبارها مرحلة ابتدائية ستمتد على عدة مراحل لاحقة إلى غاية الجامعة، وأنها تندرج في سلسلة من الأشغال التربوية والبيداغوجية المتتابعة، التي يكون على المسئولين المشرفين على إدارات التعليم بالجزائر أخذها بعين الاعتبار، ثم الإقدام على تنظيمها وترتيبها بطريقة متدرجة عبر عدة سنوات دراسية.

السيد بروفيسور **إميل سيكار Emile Sicard** تكفل خلال هذه الجلسات على أن يكون معاونا للمستشار السيد **بيير كون Pierre Conn** بكل ما يتعلق بتحرير فصول تقرير حصيلة دواعي الإنشاء **Expose des motifs** الذي سيترافق مع طلب الحصول على القرض الاستثنائي بـ **5000** دولار أمريكي لدعم المشروع، عدد معتبر من الأساتذة ورؤساء ورشات العمل والإطارات المختصة بالمساعدة السوسيولوجية، ومختصين في الإثنولوجيا واللسانيات ومناهج اللغة وتقنيات التدريس وعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي وعلم النفس البيداغوجي، وكذا كل الملحقين المنتدبين بمعهد الفلسفة الذي يديره بروفيسور **إميل سيكار Emile Sicard** على استعداد لتشكيل هيئة دعم وإشراف نوعية على مستوى تاطير الباحثين ومتابعة ما تقتضيه المرحلة التقنية التي في إطار إنجاز مثل هذه الأبحاث والدّراسات.

أما فيما يخص الظروف الميدانية المصاحبة لهذه التحضيرات، فتبدو مساعدة ومؤاتية على تحقيق تقدّم في دراسة **مشروع الازدواجية اللغوية** المدرسية في الجزائر وتطويره، والتي سيشرف عليها معهد الفلسفة التابع لكلية الآداب بجامعة الجزائر، والذي تكفل بالشروع في تنفيذ برنامج تكوين معلمين من حملة شهادة ليسانس خلال السنة الدراسية الجامعية **1964 . 1965** يقوم على

دراسة الجانب اللغوي انطلاقا من ثلاث زوايا نظر رئيسية، وتتوزع هذه الزوايا على الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، هناك عدد معتبر من الباحثين سيتمّ تهيئتهم للالتحاق والاندماج بالبحث لدراسة الجانب اللغوي من هذه الزوايا الثلاث.

4 ـ اللجنة الدراسية الخاصة بتنظيم الازدواجية اللغوية المدرسية.

يقول أصحاب التقرير أنه بالرّغم من وجود ترحاب متميز بالدراسة وبالمشرفين عليها، إلا أن الظروف التي يعمل بها المستشار تنطوي على بعض الصعوبات، ذلك أن أساتذة الجامعة الذي هو في حاجة ماسة إليهم، يبدون مع نهاية نشاطات السنة الجامعية أكثر انهماكا في إتمام واجباتهم المهنية والأكاديمية، وهم أكثر ارتباطا بمضامين التزاماتهم المتعدّدة، كما أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن مجموعة من المعاونين، الذين طمعت فيهم مصالح البحث البيداغوجي بالالتحاق والمشاركة في الأعمال تحت إشراف **السيد بيير كون Pierre Conn**، لم تتمكن من الالتحاق بمجموعة الباحثين وذلك لكونها تتحمّل عبء مسؤولياتها الجامعية والإدارية، وهي مسؤوليات على غاية كبيرة من الأهمية، وبذلك لم تتحقق الرغبة في انتدابهم بالالتحاق نتيجة هذا الالتزام الكبير بالمسؤوليات الواقعة على كواهلهم، ويضاف أخيرا إلى ما سبق الإشارة إلى وضعية **مركز الأبحاث السوسيولوجية le centre de recherches sociologiques** الذي كان ملحقا لفترة ما بجامعة الجزائر، حيث تمّ حلّه لاحقا وتوقيف نشاطه، ووجد الباحثون الذي كانوا يتكوّنون فيه في أوضاع خاصة، حيث تمّ توجيههم نحو آفاق عمل أخرى لا علاقة لها ببرنامج عمل لجنة بيير كون.

يضيف **المستشار بيير كون Pierre Conn** بعد ذلك في تقريره أن لجنته أوشكت على التوقف نهائيا عن عملها لولا تدخل ومؤازرة **السيد بن شنب** عميد كلية الآداب بجامعة الجزائر، وتعيينه مع بداية الأيام الأولى لشهر جانفي

1964م للجنة دراسية مختصة في تناول قضايا الازدواجية اللغوية المدرسية، والتي تكفلت بتحديد المهام والأدوار المتعهّد بإنجازها بالتنسيق مع الخبير المستشار **السيد بيير كون Pierre Conn** بكلّ ما يخص المشروع وتنظيم مجالات البحث، السيد **بروفيسور عزة** أستاذ جامعي محاضر مختص في الإثنولوجيا، تم الاتصال به لرئاسة هذه اللجنة التي يؤطرها **بروفيسور بن شنب**، وقد التحق للعمل بجانبه كل من **السيد عنابي** مستشار بيداغوجي واحد المعاونين المقرّبين من **السيد بلّحسن والسيد مقران** رئيس ورشة أشغال ورئيس مخبر في علم النفس وعلم النفس الاجتماعي، ، كما تمّ الاتصال كذلك بأستاذين جامعيين جزائريين من أجل الالتحاق بوقائع أشغال جلسات هذه اللجنة، ولكنهما لم يتمكنا من الالتحاق وضمان مساهماتهما في هذه الأشغال (لم يذكر التقرير اسميهما)، ولكون أن هذه اللجنة لم تكن تتمتع بصلاحيات واسعة، فغنها لم تنجز ولو عملا واحدا ذا قيمة، في الوقت الذي التزم فيه المستشار بكل ما كان يهمه.

5 ـ ظاهرة الازدواجية اللغويّة المدرسيّة (عربيّة ـ فرنسيّة).

المهمة الأكثر استعجالا التي ينتظر من اللجنة القيام بها، كانت تقوم على تحديد موضوع واضح للبحث في هذا المجال، والذي كان بالإمكان أن يكون في نفس الوقت هدفا لدراسة علمية يمكن مراقبتها وبالتالي توفير نتائج فورية بخصوصها تكون نافعة للأخذ بها من قبل المسئولين المشرفين على الإصلاح البيداغوجي الساري المفعول، في الواقع، المشاكل الميدانية التي تمّ عرضها وتشريحها بوضوح من قبل مستخدمي هذه "الدراسة"، إنها تهدف بالخصوص إلى معاينة واختبار ما إذا كان من المناسب تركيز البحث والدراسة على العوامل السوسيولوجية والنفسية الاجتماعية التي توفر وتتيح للمتمدرس الجزائري التعلم المتناسب والموازي بين اللغتين الفرنسية والعربية، أو بالمقابل التأكد فيما إذا كانت الدراسة قادرة على أن تشمل كذلك ملامح أخرى من هذه الظاهرة.

يضيف **السيد بيير كون** في تقريره، أن الازدواجية اللغوية المدرسية التي تعرف حضورا في المجتمع الجزائري، تتميز بكون أن اللغة الفرنسية تبقى لغة حاضرة بالموازاة وتشكل مادّة ووسيلة للتعليم في الجزائر منذ مرحلة التعليم الابتدائي، إن هذه الوضعية بالنسبة للجزائر ـ في نظره ـ تعبّر عن إجراءات انتقالية اقتضتها الوضعية المدرسية والثقافية للبلد، لذلك فالحصيلة التي تمّ تبنيها غداة استقلال الجزائر تقوم حسب بيير كون على ثلاث قواعد:

1 ـ تزويد النسبة الغالبة من أطفال الجزائر وفي المستقبل القريب وتمكينهم من الاستفادة من نظام تعليم معاصر ووطني (المجهود الخاص بضمان التمدرس تضاعف إلى حملة خاصة لمحو أمية البالغين والتي سيتم التركيز عليها وتكثيفها مع نهاية السنة الجارية).

2 ـ إعادة إغناء التراث العربي الثقافي والوطني للجزائر إلى مكانته التي يستأهلها، والعمل كذلك على ترقية الانفتاح الثقافي الوطني (واللغة العربية هنا تمثل الناقل الذي لا غنى عنه للتقاليد الفكرية والروحية، والتي تجد فيها الجماعات الوطنية رصيدها المشترك).

3 ـ الإتجاه نحو تكوين سريع للمهندسين والحقوقيين والتقنيين والعلماء في أقرب الآجال الممكنة، وذلك لمدى حاجة البلد لهم بصور عاجلة وماسة استجابة gمكونات السياق الجزائري الحالي، ويبدو في الظرف الراهن أن أقرب طريق نحو تحقيق هذه الثقافة العصرية يكمن أساسا في **اعتماد اللغة الفرنسية.**

يتقدّم صاحب التقرير بإعطاء توضيحات أكثر، حيث يرى أنه طبقا للتوجّه الاشتراكي للبلد، فإنه يقع على مسئولي التربية في الجزائر ثقل المسؤولية لتحقيق ذلك، وهم بدورهم يولون أهمية كبيرة لمشروع توحيد التعليم على مستوى كافة القطر الجزائري، وسيتم الاتجاه نحو تخصيص برامج تعليم للتخصّصات الأدبيّة والأخلاقيّة باللغة العربيّة، في حين سيتم اعتماد اللغة الفرنسية لتعليم التخصّصات العلمية والمتوّفرة مادتها أساسا باللغة الفرنسيّة،

والعودة في هذا الإطار إلى أساتذة ومعلمين باللغة الفرنسيّة (جزائريّين وفرنسيّين يتم توظيفهم بموجب اتفاقات للتعاون التقني بين البلدين) يسمح بالتعويض وملء الفراغ والحاجة المسجّلين حاليا بسبب نقص المعلمين والأساتذة باللغة العربية، والعمل على الرّفع لأكبر عدد ممكن من الأطفال الذين هم حاليا في سنّ التمدرس وتمّ إلحاقهم بالمدارس، وبنفس القدر من الأهمية، استغلال ميراث الحضور الأجنبي، الذي ما زال يحتفظ بكثير من المزايا وإدماجه في المساهمة بإحداث هذه النقلة الجذرية، حيث ستكون الأمة الجزائرية مقبلة عليها ومتبنية لها، وهذه **الازدواجية اللغوية المدرسية** لا تأخذ حيزها الحقيقي في المجتمع، إلا من خلال موضعتها وتفعيلها في هذه المرحلة الانتقالية التي تعرفها حاليا بالخصوص المدرسة الجزائرية.

6 ـ ضبط اختيار نمط الاستقصاء الاستكشافي.

لذلك وانطلاقا من المعطيات المستقاة على هذا الأساس وفي هذا الإطار، تطرح المشاكل الحقيقية للمدرسة الجزائرية، فبعد معاينة مختلف الاتجاهات التي من خلالها يمكن البدء والقيام ببحث دراسي استقصائي **une enquête** واللجنة الدراسية اتفقت آراؤها حول فكرة القيام بهذا البحث الدراسي الاستقصائي الرّائد **une enquête pilote**، الذي سيسمح في النهاية بجمع وتحقيق أكبر ما يمكن تحقيقه من معلومات واسعة، والتي تراها اللّجنة ضروريّة من أجل صياغة مخطط هيكلي للأبحاث التي سيتم إنجازها لاحقا، بناءً وانطلاقا من فرضيات علمية لهذا العمل من اقتراح **السيد عنابي**، كما تمّ اتفاق بين أعضاء اللجنة على تبني الإشكاليّة التالية:

" أن تمكن الطفل المتمدرس الجزائري من تحصيل مزدوج للغتين العربية والفرنسية يمكن أن يتحقق بسهولة ويمكن أن لا يتحقق، وذلك بسبب تدخل العديد من العوامل الاجتماعية والنفسية والمدرسية والبيداغوجية، و البحث الدراسي الاستقصائي سيكون مركّزا ضمن أهدافه استلال واستخراج الأهمية الخاصّة بكل عامل من هذه العوامل، بطريقة يمكن من خلالها معاينة

الصعوبات التي سيواجهها الإصلاح البيداغوجي في الجزائر، وبمعاينتها يسهل لاحقا تحديد العناصر والأدوات الكفيلة بتمكين هذا الإصلاح من ضبط عملياته والقيام بها" (10).

في الواقع، يجب القيام باختيار بين القيام **ببحث استكشافي enquête d'exploration** التي سيسمح ببلورة صورة متكاملة من الشّروط الخاصّة **بالتعليم المزدوج enseignement bilingue** ، متنوع بحسب تنوع الأوساط المدرسية والاجتماعية في الجزائر، ويبني فضاءً للبحث يمكن للنتائج المتوصل إليها من خلال ذلك، بضبط سلسلة من إجراءات التحصيل العلمي للغات، الذي يمكن ربطه بعامل متغيّر واحد فقط (الشروط والظروف الاجتماعية للوسط العائلي على سبيل المثال)، أما الفضاءات الأخرى يمكن النظر إليها باعتبارها ثوابت راسخة.

يرى بيير كون أن من بين كل الصّعوبات التي تمت مواجهتها ودراستها، كانت هذه الصّعوبة التي انشغل بها أعضاء اللجنة أكثر من غيرها، ومع ذلك فإن وجهات النظر التي طرحها **السيد مقران** والراغب من خلالها في احتضان وتناول أعضاء اللجنة أكبر عدد متاح من مختلف ملامح المشكلة، وكذلك بالنسبة **للسيد عنابي** المنشغل بدوره كثيرا بالعديد من العوامل، والذي أبدى انشغاله الكبير وطالب بأن لا يتم إحالتها إلى المستوى الثاني من الاهتمام في شبكة العوامل المؤثرة ذات الطابع البيداغوجي والمدرسي، وقد كان له ما رغب فيه بموافقة أعضاء اللجنة على ما طرحه من انشغال.

برنامج البحث الذي تمّ إعداده ، يتمثل قبل كل شيء في كونه بحثا استقصائيا، وهو يضع بين أيدي الباحثين حزمة من الاختبارات المدرسية وعدد من استمارات جمع المعلومات، وهي جد متكاملة وقادرة على إحصاء العوامل الرئيسية التي تتدخل في تحقيق النجاح المدرسي وتحصيل اللّغات **l'acquisition des langues**.

7 ـ وسائل البحث الاستقصائي le matériel d'enquête.

يتعلق الأمر في هذا السياق بأربعة مشاريع من استمارات البحث الاستقصائي، تمّ تقديمها إلى دائرة العلوم الاجتماعية التابعة لمنظمة اليونيسكو، وذلك مع نهاية شهر فبراير **1964**م، وفور الانتهاء من إعداد النسخة العربية منها، كان مقررا إن يتمّ إخضاع وتجريب الاستمارات الأربع للمعاينة الميدانية عن طريق إعداد اختبار على شكل **بحث ـ اختبار enquête-test** على مستوى العديد من المدارس العمومية بمدينة الجزائر وبعض مناطق الضواحي، هذه الحزمة من الاستمارات تتشكّل من "**بطاقة التلميذ**"، استمارة "**استجواب أولياء التلاميذ**"، استمارة "**استجواب المعلمين**"، وأخيرا "**بطاقة منطقة السكن**".

1 ـ بطاقة التلميذ la fiche d'élève

تتضمن هذه البطاقة تعليمات خاصة، وهذه التعليمات تتمحور حول عدد من المعلومات الخاصة بالتاريخ المدرسي للطفل (سنه عن الدخول المدرسي الأول، المؤسسات التي درس فيها، عدد سنوات التعليم التي تلقى تحصيله فيها بالعربية)، حول القسم الذي يتواجد فيه حاليا، حول ترتيب التلميذ وتقييم المعلمين لمستوى التلميذ بالعربية والفرنسية، حول الدعم والمساعدة التربوية الممكن أن يحصل عليها خارج المدرسة فيما يتعلق بنشاطه المدرسي، وأخيرا فقد تمّ تخصيص حيز أسفل هذه البطاقة، لأجل تسجيل نتائج الاختبارات الخاصة المشكّلة والمصاغة بغاية تقييم مستوى التحصيل عند المتمدرس الجزائري في اللغتين العربية والفرنسية.

2 ـ استجواب أولياء التلاميذ Interview des parents

استمارة استجواب أولياء التلاميذ تمّ إعدادها من خلال استمارة جدّ متكاملة، بناءً على المعطيات التي تمّ استقاؤها سابقا من تطبيق نموذج **بحث ـ اختبار enquête-test** والتي في ضوئها تم تعديل بعض أسئلتها، هذه الاستمارة تسجّل من البداية سلسلة من المعطيات حول: الحالة المدنية للأولياء (أو

من ينوب عنهم من الأوصياء)، مهنهم، وتكوينهم المهني، تأتي بعدها مجموعة من الأسئلة التي تعنى بالمستوى التعليمي للأولياء (اللغات المتحدّث بها، مستوى معارفهم في القراءة والكتابة، وفي أي من اللغات تتحدد هذه المعارف، المدارس التي مروا بها والشهادات المتحصل عليها).

فيما يتعلق بالمكوّنات الخاصّة بالحياة العائليّة، يشير التقرير إلى وجود جدول يعني باللّغات المتداولة تلقائيا بين أفراد العائلة، تشكّل هدفا آخر من أهداف الدّراسة ضمن مجموعة أخرى من الأسئلة، حيث نجد من بين الأسئلة الواردة فيها من هي على المنوال التالي: "من الذي يكتب رسائلكم العائلية التي ترسلونها باللغة العربية؟؟ ، وتلك التي ترسلونها باللغة الفرنسية؟؟"، الاهتمام والتركيز ينصب بعد ذلك حول بنية الثقافة المصغرة للعائلة **la micro culture du groupe familial** ، " هل تشترون جرائد أو كتب؟؟ وبأي لغة؟؟ ، هل تستمعون للراديو؟؟ هل تشاهدون التلفاز؟؟، وأخيرا يتم استجواب أولياء التلاميذ حول موقفهم الشخصي من طبيعة ونوعية التعليم الذي يتلقاه أطفالهم، وموقفهم كذلك بخصوص التكوين المدرسي والمهني الذي يتمنوا لأطفالهم أن يحصلوا عليه.

3 ـ استجواب المعلمين Interview des maitres

يتشكل الاستجواب الموجّه للمعلمين من الوظائف الراهنة للتعليم، حول طبيعة تكوينهم وطبيعة سوابقهم المهنية، حول ظروف عملهم (عدد الأقسام التي يشرفون عليها، حول رضاهم، وحول الصعوبات التي يواجهونها في ممارستهم لمهامهم)، وهناك سلسلة أخرى من الأسئلة التي تسمح للمعلم من التعبير عن مستوى التلاميذ ومستوى درجة الإنسجامية في الأقسام، والتي يكون هو مشرفا ومسئولا عنها، وتأتي في الأخير مجموعة من الأسئلة تستهدف جمع معلومات حول موقف المعلمين من التعليم المزدوج اللغة، حول مواقيت التدريس الأسبوعية

الخاصة باللغة التي يشتغلون بها، وهناك بعض الأسئلة التي تتمّم هذا الجانب من جمع المعلومات والتي تتعلق بمناهج تعليم اللغات المستعملة من قبل المعلمين.

4 ـ البطاقة الخاصة بمنطقة السّكن" fiche de localité

الهدف من وراء استخدام هذه البطاقة جمع بعض المعلومات العامة حول الوسط الاجتماعي والوضعية الاجتماعية ـ الاقتصادية للجهة التي يقع فيها قسم التلميذ، المعلومات المرغوب الحصول عليها تتعلق خصائص المجموعة السكانية في منطقة السكن، الأهمية الإدارية للمنطقة السكنية، طبيعة التجهيزات المدرسية، مكونات المجموعة السكانية النشطة وفق فروع النشاط الرئيسية، بعض التدقيقات حول التاريخ المحلي والجهوي، حول خصائص البيئة الريفية أو الحضرية، التي يمكن من خلالها توفير بعض المعلومات المفيدة والمكملة لهذا الوصف.

8 ـ مخطط استمارة البحث.

يقول بيير كون أنه في اللحظات التي كان يغادر فيها الجزائر باتجاه فرنسا، كان برنامج تنفيذ الاستمارة الاستقصائية في بداية تنفيذه ميدانيا، لقد كان مقررا البدء قبل نهاية شهر مارس **1964**م، في تطبيق نموذج **بحث ـ اختبار enquête-test** في بعض المدارس بمدينة الجزائر (الوسط الحضري) وفي بعض الأقسام في الوسط الريفي، وبالموازاة مع هذه المرحلة من العمل، كان على الطاقم المعني بتنفيذ هذه الاستمارة، أن يضع ميدانيا مخططا تدريجيا، ويهيكل فرق المحققين التي تمّ توظيفها وتكوينها وإعدادها أساسا لهذه المهمة، وكذلك التجهيزات الخاصة بالتحقيق لحظة ما يكون قد تهيّأ، كل شيء في ذلك كان نظريا قد تمت تهيئته بكل نشاط لتكون ظروف تحقيق الدراسة قد اكتملت وصار بالإمكان إنجازها قبل نهاية شهر ماي **1964**م.

أما ما يتعلق بطلب استعمال القرض الاستثنائي المخصّص للدراسة والمقدّر بـ **5000** دولار أمريكي والتي جاء قرار الاستفادة منها ضمن سياق تجزيئي بالدفع (تسريح على شكل دفعات مقسّطة) **(comme échéance de**

(versement)، القسط الأول يقدّر بـ **1700** دولار أمريكي ويتم استلامه، بعد أن يقدّم فريق البحث لدائرة العلوم الاجتماعية بمنظمة اليونيسكو النص الكامل الخاص بوثيقة الاستمارات الموجهة لطبقات الاستجواب الأربع المذكورة أعلاه، كما يضيف بيير كون من جهته أنه سلّم بنفسه نسخة من هذه الاستمارات للجهة المعنية بتاريخ **17** فبراير**1964**م).

أما القسط الثاني من هذا القرض التمويلي فيقدّر بدوره بـ **1700** دولار أمريكي، ويتم استلامه بعد تقديم المخطط الكامل للبحث بكل تفاصيله والصيغة النهائية للاستمارات الموزعة على طبقات المبحوثين، أما القسط الثالث والأخير من القرض، فيقدّر بـ **1600** دولار أمريكي، يتمّ استلامه بعد الوصول إلى جمع نهائي لكل الاستجوابات المنجزة، والمباشرة بتقديم النتائج الإجمالية الأولى بعد تحليل مضامين الاستجوابات، هذا القسط الثالث والأخير تمّ تقديره وضبطه من قبل أعضاء لجنة البحث، على أساس أنها تكون قد توصّلت إلى إنهاء أعمالها على أقصى تقدير وبحساب كل الصعوبات في شهر سبتمبر **1965**م.

بخصوص بعض النقاط، يجدر الإشارة إلى أن اللجنة الدراسية، لم تتمكن على الرغم من أن تحدّد وتضبط خيارها الدراسي والمنهجي الخاص بمنهج دراسة الازدواجية اللغوية، كما لم يتم التوصّل إلى أخذ القرار الفاصل والنهائي، فيما إذا كان التحقيق الدراسي حول الازدواجية اللغوية سيتم تطبيقه استثنائيا على مجموعة من التلاميذ الذين تلقوا تعليمهم باللغة العربية على مدار اثنين أو ثلاث سنوات، أو سيتم تطبيقه على بعض الأقسام الأخرى التي سيتم أخذها بعين الاعتبار في قبل المحققين وتدخل بالتالي في العينة المدروسة، والتي لم يكن لها نفس الحظ مثل العينة الأولى.

أما منهجية اختيار المنطقة السكنية، والتي كان من المقرر أن يجرى فيها التحقيق فهي بدورها لم يتم تبنيها بالإجماع، وبنفس الدرجة لم يتم بسط

كل خصائص مشروع استمارات البحث، والتي تم تحديدها في فرضيات الدراسة والقائمة على فرز منهجي يعتمد على نمط بطاقات التصنيف، **ففي** مثل هذه الحالة من وضعية إجراء البحث لم يتم هي الأخرى أخذها بعين الاعتبار وبالطريقة الكافية.

يختم بيير كون مشيرا إلى أن أهمية وحماسة المشروع وحيويته لا يمكنها بالمقابل أن تنسيه الصعوبات التي واجهها، ذلك أن تنفيذ هذا التحقيق ستقتضي بأن يؤخذ الوقت المحدد للبحث مأخذ الجدّ والعناية الخاصّة وتدقيق حدود الوقت الضّروري المحدّد سلفا لإنجازه وتحصيل النتائج والذي سيكون بدوره ممتدا، وبأنه كان يجب مسبقا إشراك عدد أكبر من المعاونين، ولكن على الرّغم من ذلك كما يضيف بيير كون، فإنّ الرّوح المدنيّة التي جرى فيها إصلاح التعليم في الجزائر، والحماس الكبير الذي يعمل في جوّه أولئك الذين كانوا شركاء في إنجاز الإصلاح البيداغوجي وتنظيم مشروع الازدواجية اللغوية، يسمح بأن يكون مؤكدا وناجزا، وبأنّ هناك إمكانية لتجاوز كلّ الصّعوبات المطروحة.

في ختام التقرير يشدد بيير كون بأن استغلال النتائج المتوصل إليها والقيام بتفسيرها ليست هي الأخرى بأقل صعوبة من الصعوبات الأخرى، فالمشاكل التي واجهها بالتالي هو ومسئولو البحث لا يمكن الاستهانة بها أو التقليل من شأنها، فتقديرها يسمح للبحث بأنّ يكون حقيقة مثمرة، هناك جهودا كبيرة مضنية وهناك مساعي دائمة يجب بذلها حتى الوصول إلى المرحلة النهائيّة لهذا العمل، يبدو بالتالي - في نظره - ضروريا على المسئولين المشرفين على هذا العمل، التوفر دفعة واحدة على الوقت اللازم وعلى الشّروط والظّروف الأكثر موافقة وتجانسا، وبصيغة أخرى يجب أن لا يكون من المبكر الالتزام والتكفل بمسؤوليات أخرى، وتحقيق النجاح المنتظر في ضبط رزنامة خاصة بالازدواجية اللغوية في كل المراحل التعليمية في المدارس الجزائرية.

- ثبت الإحالات والمراجع:

(*) لقد قمنا بتقديم معلومات رئيسية حول طبيعة هذا التقرير وخلفياته والجهات المرتبطة به والأطراف المنتفعة منه، في مقدمة المقال وذلك تحت عنوان فرعي. **"التعريف التقني بلجنة الفرنسي بيير كون"**، إلا أننا ننبه القارئ الكريم إلى أننا لم نعثر على التقرير كاملا بكل تفاصيله هنا بالجزائر، والجهتان اللتان تتوفران على كل المعطيات التي لها علاقة بالتقرير هما، منظمة اليونيسكو بباريس ووزارة التربية الوطنية الفرنسية، بالإضافة إلى أعضاء لجنة البحث، وعجزنا على أن نعثر على معلومات وثيقة بخصوص السير الذاتية للجزائريين أعضاء اللجنة باستثناء **عبد العزيز أو عبد السلام**.

هوامش البحث:

(1)Daniel Guérin **: l'Algérie qui se cherche** ; Paris ; Edition Présences Africaines ; 1964 ; p76.

(2)Cf : (Abdullah Cheriet : **Opinions sur la politique de l'enseignement et de l'arabisation**; Alger; SNED.1983.

(3)Cf **:** Alain Touraine**: Sociologie de l'action**; Paris, Ed/ Seuil; 1965.

(4)Robert Mantron**: les régimes politiques dans le monde arabe, Paris, Ed/** Présences Africaine ; 1963 ; p36

(5)فتحي ديب: رئيس جهاز الاستخبارات الحربية المصرية في فترة الخمسينيات في عهد الرئيس جمال عبد الناصر، له بعض الكتب التي تناول فيها العلاقة بين الدولة المصرية والدولة الجزائرية، متطرفا في بعض مواقفه تطرفا عجيبا ومدّعيا أن الدولة المصرية هي من تكفلت بأعباء وأهوال حرب الجزائر، ولها الفضل الأكبر على الجزائريين بنيلهم الاستقلال.

(6)في الواقع حصل اهتمام نوعي بعلم اجتماع التربية **(sociologie de l'éducation)** في الجزائر، وبرز فيه علماء اجتماع متميزين على غرار عبد القادر جغلول ومعروف ديب وزوبيدة حداب وعبد الغني مغربي وعبد الرحمن بوزيدة والطيب كنوش وغيرهم، إلا أن الاهتمام بهذا التخصص تراجع مع تكريس

التوجهات السياسية الاشتراكية للدولة فبرز دون ذلك علم الاجتماع الصناعي وعلم اجتماع العمل وعلم الاجتماع الريفي الحضري، وتكرّس الموقف أكثر خلال المؤتمر العالمي لعلم الاجتماع بالجزائر سنة **1974**م.

(7)Edouard Palmero **: Histoire des institutions pédagogiques,** Paris, Ed/ la renaissance, 1958 ; p 73-81.

(8)استفادت الدولة الفرنسية عدة مرات من البرامج التمويلية التي كانت تأخذها باسم **البرنامج الموسّع للمساعدة التقنية Programme élargi d'assistance technique**لتنفيذ كثير من برامجها الدراسية في دول المنظومة الفرانكفونية لدراسة ومتابعة وضعية التعليم باللغة الفرنسية ومعاينة وضعية الازدواجية اللغوية فيها، وكان يجب على الدولة الجزائرية أن تتقدم وتستفيد من تمويل هذا البرنامج لتطوير وتحسين مستوى النظام التعليمي في الجزائر، وقد مولت المنظمة بالفعل بعض الجوانب التقنية والبيداغوجية في مشروع التعليم التحضيري الذي تم الانتهاء من صياغته سنة **2005**م، كما موّلت طباعة بعض الكتب والوثائق الخاصة بالتعليم التحضيري، وقد اطلعنا شخصيا عليها.

(9)تجدر الإشارة هنا أن رائدة العمل في إنشاء وتطوير البحث في سوسيولوجية المتمدرس الجزائري **la sociologie de l'écolier algérien** هي الأستاذة الجامعية الجزائرية "**جميلة دبّاش**"، والتي لها العديد من المحاضرات والمساهمات في هذا المجال منذ أربعينيات القرن العشرين.

Cf : Djamila débâche : **les musulmans algériens et la scolarisation** ; conférence faite a Alger ; Salle Stefan Gsell (Faculté des lettres d'Alger) le **15 Janvier 1950**

(10) هذا الجزء من الأفكار التي نسبها بيير كون إلى السيد عنابي، هي في الواقع تعد جزءا مختصرا من إشكالية أوسع وأشمل تهتم بدراسة وضعية الازدواجية اللغوية في القطاع المدرسي بالجزائر، تفرعت عنها عدة فرضيات، وتم بناء أربع استمارات كاملة لاستجواب أربع طبقات من المستجوبين، مع العلم أن التقرير لم يتضمن فرضيات الدراسة والإشارة إلى متغيراتها ومؤشراتها